

سؤال التعلم عند أوليفيه روبول قراءة في المنجز الفلسفي التعليمي.

The question of learning according to Olivier reboul –A reading of the educational philosophical achievement.

مختار فاطمة الزهراء طالبة الدكتوراه^{1*} ، عقون مليكة²،¹ جامعة مصطفى اسطمبولي معسكر (الجزائر)، مخبر الدراسات الفلسفية و قضايا الإنسان و المجتمع

في الجزائر (جامعة تيارت) mokhtar.fatimazohra@univ-mascara.dz

² جامعة مصطفى اسطمبولي معسكر (الجزائر)، malika.agoune@univ-mascara.dz

تاريخ النشر: 2024/12/18

تاريخ القبول: 2024/11/01

تاريخ الاستلام: 2024/07/09

ملخص:

شهد سؤال التعلم تراكمات عديدة على المستوى المفاهيمي و التطبيقي. حيث أصبح يشكل مسألة محورية حملت في ثناياها تنوعا كبيرا في المفاهيم المستحدثة أبرزها: التعلم الذاتي، بناء الإنسان المبدع و الأخذ بسياسة الانفتاح، التعاون و الحوار الفعال و الإيجابي. و لعل الغاية من كل هذا بلورة تصورات و أفكار بناءة و هادفة، لبناء ذهنية قادرة على التفكير بعمق و دقة و بطريقة منطقية.

يحاول هذا المقال أن يسلط الضوء على قراءة أوليفيه روبول التحليلية و النقدية لسؤال التعلم و دراسته كمفهوم في فلسفته، حيث تهدف إلى التعرف على معانيه و تحديد طبيعتها عنده. و من ثمة إبراز أهدافه و دوره في التغيير و البناء نحو الأفضل من خلال مؤلفه "ما معنى التعلم" و سلسلة ترجماته. و أسفرت نتائج البحث إلى تجاوزه التصور التقليدي للتعلم و بناء تصورات جديد معاصرة - استثمار المادة المعرفية و تحويلها إلى ممارسات تطبيقية محضنة من طرف المتعلم- اقدار التلاميذ أساسا على المعرفة الذاتية — الانفتاح على أفق البحث العلمي.

كلمات مفتاحية: سؤال، التعلم، المعرفة الذاتية، المتعلم، الإنسان المبدع.

Abstract:

The question of learning has witnessed many accumulations at the of the conceptual and applied levels ,as It has become a pivotal issue that carries within it a great diversity of

* المؤلف المرسل: مختار فاطمة الزهراء ، عقون مليكة

new concepts , the most prominent of which are :self-learning, building the creative human being , adopting a policy of openness, cooperation, and effective and positive dialogue , and perhaps the goal of all of this is crystallizing constructive and purposeful perceptions and ideas, to build a mind capable of thinking deeply ,accurately ,and in a logical manner.

This article attempts to shed light on Olivier reboul s analytical and critical reading of the question of learning and its study as a concept in his philosophy, where we aim to indentify its meanings and determine its nature .Hence , his goals and role in change and building for the better are highlighted through his book "what is the Meaning of learning"and its series of translations. The results of the research resulted in going beyond the traditional perception of learning and building new , contemporary perceptions- investing in the knowledge material and transforming it into pure applied practices on the part of the learner- students essentially self- knowledge abilities- openness to the horizon of scientific research.

Keywords: a question, learning, self-knowledge, learner, creative person.

1. مقدمة:

بات جليا أن سؤال التعلم أثار و لا يزال يثير قدرا كبيرا من الانتباه بين الأوساط المفكرة و المتفلسفة بمختلف مذاهبهم و أنساقهم الفكرية . إذ يعتبر من الموضوعات التي شهدت اهتماما متزايدا في متون الساحة الفلسفية . فهو من القضايا ذات الإشكالات المحورية للإنسان؛ إذ أن مقدار نجاح أو فشل الدول ما هو إلا نتاج التعليم فيها. فالتعلم في أساسه يستهدف صياغة النموذج الأمثل الذي تسعى إليه الدول و الذي بدوره يساهم في بناء الحضارة و إنشاء دعائم الثقافة لأية أمة من الأمم . لذا إن الإشكالية

التي نحاول التقصي فيها هي استكشاف فلسفة أوليفيه روبول* بشأن التعلم و دوره في تكوين الإنسان ،
نتساءل فيها حول العوامل التي تشكل عملية التعلم ، و كيف يربط الفيلسوف الفرنسي أوليفيه روبول
التعلم بالتفاعلات الاجتماعية و الثقافية لتشكيل فهم أكثر شمولية لهذه العملية . و ذلك انطلاقا من
أهميتها و دورها المحوري في بناء ذهنية قادرة على التفكير السليم .

و منه فقد كانت ورقتنا البحثية هاته محاولة لدراسة الإشكالية التالية: فما هي القراءة التي قدمها
أوليفيه روبول عن سؤال التعلم ؟ و هل يمكن القول إن نظريته المستحدثة استطاعت أن تقبض على
الإشكاليات المختلفة من زوايا متنوعة؟

و في إطار معالجة إشكالية الدراسة تم صياغة الفرضيات التي شكلت المنطلق و الأرضية لهذا
البحث:

- ضرورة تدريب التلاميذ على المعرفة الذاتية .
 - ضرورة تطبيق اللاتوجمية في التدريس للتوجيه و التعليم و الأخذ بالفلسفة المبدعة .
 - جعل الإنسان محور كل عملية تربوية و تعليمية .
- حيث تهدف هذه الدراسة إلى معرفة آراء هذا الفيلسوف فيما يخص التعلم من حيث المفهوم و
المبادئ و الأسس ، من خلال قراءة محصنة تتجاوز المعنى التقليدي الذي يحوي في متونه التلقين
و التدريس الروتيني و إنما ينبغي النظر لبعده التطبيقي العملي دون إغفال وجهه النظري و تكييفه
وفق ما يقتضيه راهن العصر .
- إذ يقودنا التحليل الفلسفي لفكرة أن التعلم من وجهة نظر روبولية يمتد إلى ما هو أبعد ليشمل
أهداف و غايات لبنيتها التعامل مع الآخرين ، تنشيط التواصل معهم و المشاركة في الأعمال
الإنسانية . فالتعليم دائما من وجهة نظر روبول يطمح إلى تنمية الحس النقدي و الإثارة الفكرية .
حيث يستهدف في أساسه ، تعزيز التعلم الذاتي لدى المتعلمين .

* أوليفيه روبول olivier reboul فيلسوف فرنسي معاصر ولد في 15 أبريل 1925 و توفي 1992 ، مهتم بفلسفة التربية و
الخطابة. له العديد من المؤلفات منها: كتاب ما معنى التعلم؟ ، كتاب فلسفة التربية ، كتاب لغة التربية ، كتاب قيم التربية الخ،
يركز روبول على أنسنة التربية (أي الاهتمام بالإنسان من حيث هو إنسان).

إننا نعمل من خلال بحثنا إلى فك رموز سؤال التعلم عند أوليفيه روبول الذي نرعى من خلاله إلى استكشاف، طبيعة الموضوع و فهمه عن طريق إتباع المنهج التحليلي النقدي الذي بدأ واضحا من خلال التطرق لأفكاره حول التعلم و ذلك بالاعتماد على كتاباته .

و بالنسبة للهيكل العامة للدراسة فقد إرتأينا أن تتضمن مفهوم التعلم. أو سؤال التعلم من منظور أوليفيه روبول . حيث أشرنا من خلاله للمعاني الثلاث للتعلم. كما تحدثنا عن بيداغوجيا الكفاية و كيف نظر إليها أوليفيه روبول . ثم وقفنا على التعليم بالأهداف ، و أخيرا وضحنا "مستويات الكفاية". و كل الأسطر احتوت قراءة و تفحص سؤال التعلم عند أوليفيه روبول .

2. حول مفهوم التعلم:

توطئة:

تداول على نطاق واسع أن مفهوم التعلم أكثر استخداما بين أوساط الدارسين و الباحثين و كذا المهتمين بالمجالات ذات الصلة بالتعلم، يمكن ملاحظة ذلك جليا ، من خلال القراءات و الشروحات المختلفة من زوايا متنوعة صيغت بأفلام المفكرة و المتفلسفة. لكن مع هذا فهو من أكثر المفاهيم استشكالا في التحديد ...

بل أكبر إشكال في التعلم يكمن أساسا في إشكالية التقصي ما كتب حول مدلوله. بحيث تعددت الآراء و اختلفت التوجهات و الخلفيات الفكرية و تباينت. و هو الأمر الذي يصعب من مهمة الباحث الظفر بمفهوم عام و دقيق للتعلم ، لكن و بالرغم من تلك الاختلافات إلا أنه يمكن القول ، لا أحد يستطيع إنكار التعلم و دوره في تقدم الفرد بصورة خاصة و المجتمع بشكل عام. من هذا المنطلق إرتأينا أن تكون بداية بحثنا هذا هي الإجابة على سؤال ما التعلم؟

ينطلق التعلم من فكرة أساسها أنه "تغيير أو تعديل في السلوك و الخبرة ينشأ عن قيام الإنسان بنشاط معين تتفاعل فيه شروط البيئة الخارجية مع مجموعة من الاستعدادات و الدوافع التي نحدد بها الكائن الحي. (بلمامون، 2018، صفحة23)" يستدل عليه من خلال التغييرات التي تطرأ على سلوك الفرد، نتيجة التدريب و الممارسة من خلال هذا الطرح يمكننا اختزال التعلم في العناصر التالية:

- أنه تعديل في السلوك .

- ثابت نسبيا .

- ناتج عن التدريب و المران الخبرة .

و بناءا على ذلك فالتعلم تغيره مستمر باستمرار مسار النمو ذاته . و يتطور كذلك عن طريق التفاعل مع الخبرات و المواقف لأن الخبرة تتضمن التفاعل ، كما يفيد التعلم بالمعنى الشامل للكلمة " مجموعة المعارف و المهارات تقدم للمتعلم ، و يبذل هذا الأخير جهدا بهدف تعلمها أو كسبها ، بمعنى الفرق بين حالة الابتداء في الموقف و حالة الانتهاء منه فإذا زاد هذا الفرق في الأداء تضمن ذلك حصول التعلم (تحسن أو زيادة) (قزامل، 2013، صفحة24). فقراءتنا لهذا المفهوم توضح لنا أكثر أن (التعلم) قاعدته الحصينة و المتينة (المتعلم) الذي يكتسب بموجبه خبرات مهارات معرفية، و حتى مواقف لغرض تنمية شخصيته ذاتيا ، معرفيا ،انفعاليا و مهاريا . ليس هذا فحسب بل و يوجه الفرد و ذلك بإعادة تشكيل بنيته الفكرية و العقلية.

أما إذا تساؤلنا عن التعلم عموما فيلعب دورا هاما في إحداث التغييرات الإيجابية عند كل إنسان، فلا يقتصر الاهتمام بالتعلم على المؤسسات التعليمية فحسب ، بل موضع اهتمام الآباء و المربين ، المفكرة و المختصين، فعملية اكتساب الخبرة لا تحددها مرحلة معينة من العمر لطالما هناك رغبة أو دافع للمتعلم. فهو إذن يدور حول انتقال السلوك من حالة إلى أخرى مثلا: من جهل بالقراءة إلى تعلم كيفية القراءة .

فمن الواضح إذن؛ أنه لا يمكننا الحديث عن التعلم مستقل عن التعليم الذي يبسط لنا الموضوع أكثر. إذ يساعدنا على قراءته بشكل دقيق و مضبوط . إن التعليم ذلك " النشاط الذي يقوم به معلم على متعلم بواسطة مجموعة من الوسائط مثل المعارف و الوسائل و الطرائق و المهارات... الخ (روبول، لغة التربية و تحليل الخطاب البيداغوجي، 2002 ، صفحة197) فالتعلم حسب هذا التعريف يعتمد بالدرجة الأولى على المعلم و هذا الأخير يعمل على توفير مختلف الشروط الأساسية لحصول عملية التعلم . وتجدر الإشارة إلى أن الإنسان يتعلم فقط من الأشخاص الذين اكتسبوا بالفعل المعرفة.

و يمكن فهم ذلك أكثر إذا نحن وقفنا عند العامل المشترك بين (التعلم و التعليم) هو المادة التعليمية المقدمة للمتعلم من مفاهيم ،معارف، أفكار و معلومات...الخ التي يعمل على تحليلها وفقا لقدراته و مواهبه الفعلية.

إذن؛ " فالتعليم نشاط ينقل بواسطته المعلم إلى المتعلم معارف و كفايات في التفكير عن طريق طرائق و وسائل مهيأة لهذا الغرض ،أما التعلم فهو نشاط داخلي يهدف إلى التغيير السلوك إلى حال الثقافة و ذلك بفضل التعليم ، و قد تم التمييز بين التعليم و التعلم على أساس أن الأول نشاط ذاتي ، كما تم التمييز بينهما على أساس أن التعلم يحدث لدى الإنسان و الحيوان معا في حين يقتصر التعليم على الإنسان وحده. لأنهما يشكلان على صعيد الممارسة سيرورتان تتبادلان التأثير و التأثر و لا يمكن التفرقة بينهما

(أوكان، 2002، صفحة 87). "يظهر من تحليلنا" لمفهومَي التعليم و التعلم "أنهما مترابطان و منسجمان معا فبالرغم من وجود بعض الإختلافات بينهما و تميز كل منهما بخصوصيته، إلا أنهما يتداخلان و يتفاعلان . حيث نجد أن الهدف المنشود بين كلا العمليتين هو اكتساب المتعلم للمعلومات و الخبرات، و من ثم فإن ما يهمنا في هذا الموضوع هو التوقف عند حد سؤال التعلم من منظور أوليفيه روبول بالدراسة و التحليل.

3. سؤال التعلم عند أوليفيه روبول:

يمكننا القول أن سؤال التعلم لا يزال يقع ضمن أولويات الفلاسفة و الدارسين نظرا للأهميته القصوى و سنجد في متون الفكر الروبولي، ما يستدل على هذه الأهمية التي دفعته إلى البحث عن المقياس الذي يساهم في تحقيق التطور على الصعيدين الشخصي و الاجتماعي . لكن ما يبقى موضع تساؤل هنا؛ التعلم في حد ذاته و كيف ينظر إليه أوليفيه روبول ؟ و كيف كان تمثل روبول للمعنى الفلسفي للتعلم؟

1.3 معاني التعلم:

تحمل كلمة تعلم في اللغة الفرنسية معنى مزدوج يشمل عملية التعلم و عملية التدريس في الوقت عينه ، حيث يحيل معنى التعلم حسب (روبول) إلى معنيين التكون و تكوين الآخر في نفس الوقت، فعندما نقول مثلا : "نتعلم الجبر" فإننا نشير إلى أننا نكتسب المعرفة و المهارات المتعلقة بالجبر . و عندما نقول تعلم الجبر من شخص ما فإننا نعني هناك شخص آخر يلعب دور المعلم فيقوم بتوجيهنا و تعليمنا الجبر. (reboul, 1980,p8)

لا شك أن الغموض الذي يحيط بطبيعة كلمة "تعلم" يحمل في ثناياه معان مهمة حيث يعكس التعددية في المفاهيم و الدلالات التي يمكن أن تنقل عبر هذه الكلمة، قد يكون هناك إذن معنى متعمق و ذو مغزى خلف هذا التعبير . في الواقع قد لا يكون هناك تناقض مطلق بين (المعلم و المتعلم) ، في بعض الأحيان يمكن أن يكون الشخص في موقف (المعلم و المتعلم) . يكون في موقف (المعلم) عندما يوجه و يقدم المعرفة و المعلومات للآخرين بصفته راشدا. و في موقف (المتعلم) عندما يستفيد و يتعلم من تجاربهم و خبراتهم. هذا التبادل الديناميكي بين دور (المعلم و المتعلم) يساهم في إثراء المعرفة، تبادل الخبرات و كذا تحقيق تفاعل مستمر و مثمر. (reboul, 1980,p8) و في هذا طبعاً إحالة ضمنية لأهمية التعاون و التبادل الديناميكي بين كلا من المعلم و المتعلم لتحقيق التنمية الشخصية و كذا تثقيف العقول .

و استنادا إلى ذلك عند النظر في معنى كلمة التعلم تحديدا تتعدد الإستخدامات الممكنة فنواجه تنوعا من السياقات التي يمكن للكلمة أن تندرج فيها. و من الأمثلة على ذلك (تعلم الرقص ، تعلم من الخبرة الشخصية ، تعلم من الأخطاء ، تعلم في المدرسة ، تعلم اليونانية ، تعلم عن ظهر قلب).

و من ثم فالتعامل مع هذا التحويل المعنوي الحاصل في السياقات المشتته يدعوا أوليفيه روبول إلى ضرورة العودة إلى البناءات النحوية اللسانية المتباينة الخاصة بالفعل تعلم (reboul, 1980,p9) وذلك على الشكل الآتي:

2.3 Apprendre que علمت أن: كأن نقول مثلا: علمت أنك قد عدت ، علمت أنه توفي ، علمت أن قسمة البورصة قد إرفعت، تلك البنية اللغوية المتنوعة و السياقات المختلفة تحول فعل التعلم إلى فعل للإعلام ، حيث يتم إستيعاب المعلومة أو التوصل إليها عن طريق الأخبار و الأحداث المتنوعة فمن خلال هذا الفعل يتحقق التعلم عبر إستقبال المعرفة أو إكتسابها عن الأحداث المختلفة و التطورات المحدثة (reboul, 1980,p9) و في دائرة هذا التصور يمكننا القول أن إكتشاف التعلم و البحث عن المعرفة ، هو رحلة لا تنتهي تغذي روحك و تطور عقلك .

3.3 Apprendre que تعلم شيئا: كأن نقول مثلا: تعلم العزف على الكمان، تعلم الشطرنج، تعلم التفكير، تعلم العيش، في هذا البناء الثاني فعل التعلم في معناه الحرفي "تعلم مهنة معينة"، نقول في معناه الحرفي لأن كلمة apprendre ليست مشتقة من apprentissage و لكنها مشتقة من apprenenti كل المعاني المختلفة للكلمة بعيدا على أنها تتناسب مع apprendre فإنها تنطبق فقط على فعل التعلم للقيام بشئ معين، أي إكتساب مهارة معينة ، لذلك فالترجمة المباشرة للزوج teching/ learning في الإنجليزية إلى التدريس ليس دائمة في هذا السياق المحدد (reboul, 1980,p10) . يبدو إذن ؛ أن إكتساب المهارات هو الغرض من وراء الإستفادة من عملية التعلم .

ولاشك أن الأهم في هذا الطرح هو الإستخدام المناسب للمصطلحات يسهم في الوضوح و الدقة و كذا في تحسين التواصل ، فهم النقاشات و المحادثات بشكل أفضل فبواسطة استعمال التعابير الملائمة نحدد نوع المعرفة أو المهارة التي يتم إكتسابها .مما يسهم في تجنب اللبس و تعزيز التفاهم المشترك .

4.3 Apprendre تعلم: يستخدم الفعل أتعلم كفعل لازم أو لازمة ليشير إلى نشاط يهدف إلى شئ ما بغض النظر عن السياق الذي تم فيه التعلم قد يشير إلى الخبرة أو التعليم. و في السياق المدرسي يستخدم الإسم "الدراسة" للإشارة إلى هذا النوع من التعلم .أما فيما يخص تعلم اللغة يمكن إستخدام تعبير تعلم اللغة للإشارة إلى اكتساب اللغة و فهمها (reboul, 1980 ,p10) .

و تماشيا مع هذا الطرح يستخدم الفعل عموما للدلالة على نشاط يقود إلى اكتساب فهم عميق لشئ ما.سواء كان ذلك من خبرة، درس، تجربة سابقة، أو إكتشاف جديد .

5.3 Apprendre que تعلم أن تكون: هو الأبرز ضمن أشكال التعلم و ربما يكون الأهم، و الذي يحدث خارج مؤسسة متخصصة، أو يمكننا التعبير عنه "بالتعلم في الحياة" هو بالفعل مطلب إنساني أساسي، إذا لم يتم تحقيقه فكل ما يمكننا تعلمه يكون سوى سطحي و بلا قيمة. وهذا ما يجسده بروتاغوراس عندما يقول أن تعليمه لا يؤدي فقط إلى التثقيف، الفهم و كذا المهارة و لكن إلى الآخر. و بالتالي فهذا الآخر يعني التحرر الذي يلازمه استيعاب النهج الخاص به، إنه تعبير عن الحكمة التي هدفها ليس فقط أن نصبح أكثر تعليما و لكن سعداء أو حريصين. باختصار إنه، يكشف لنا الجوهر الحقيقي لفعل "تعلم أن تكون" في سياق التربية و التعليم (reboul, 1980,p11).

لكن ما يبقى محط تساؤل هنا: ما هي رؤية أوليفيه روبول للتعلم ؟
إن الإجابة على هذا التساؤل تحيلنا إلى مايقوله روبول و مفادها أن؛ التعلم يكون ذو مغزى إذا قمنا بتحديد ما لا يمكن تعلمه على الأقل فيما يتعلق بالنشاط الذي يتم تنظيمه و القابل للتحكم فيه، و هنا يؤكد بروتاغوراس و تأثر به العديد من التربويين الأمريكيين، يمكننا تعلم كل شئ من فن الحكم إلى فن تكوين الصدقات، و مع ذلك يرى أريستو بالفعل أن الحكمة أعلى الفضائل البشرية في نظره لا تدرس، يمكننا أن نعلم الشاب الرياضيات دون الحكمة، لأن الرياضيات لا تكتسب إلا بعد تجربة طويلة. شريطة أن يكون المتعلم قادرا على الإستفادة من التجارب (reboul, 1980,p11). لذا فإن الخبرة و الممارسة و التجارب الفعلية تعد أساسا لتعزيز المعرفة و اكتساب مهارات جديدة.

و بالفعل، من خلال الحياة و مراحلها المختلفة، يمكننا إستخلاص الكثير من الدروس و الخبرات التي تساعدنا في التعلم و التطور. فالتجارب و الخبرات التي نمر بها تلعب دورا كبيرا في صقل مهارتنا و تحسينها " فلا يمكن لأي مدرس أو معلم أو كتاب أن يعلمنا كيف ننضج و كيف نتقدم في العمر و كيف نموت هذه الأدوار التي يجب أن نلعبها بدون إمكانية تكرارها تكون للمرة الأولى و الأخيرة (reboul, 1980,p11).

6.3 Apprendre à etre "تعلم أن توجد: لكن الوجود لا يتعلم أبدا بالأوامر، كما نريد و عندما نريد. (reboul, 1980,p11)" يظهر من خلال هذا التحليل أن العلاقة تبادلية و طيدة بين التعلم و التعليم. فقد يبدو جليا أننا لا يمكننا تحقيق التطور و التقدم دون تعلم مستمر إذ يسهم في توسيع الأفاق و زيادة الخبرات و المعارف، و هي نتائج لا يمكن تفنيدها. لذا فالتعلم هو إمكانية تعلم الفرد للأشياء و مدى إكتسابه للتجارب ذاتيا دون معلم. " كما هو الحال بالنسبة للطفل الذي يتعلم اللغة الأم دون معلم، و هذا ما يمكن تسميته بالتربية التلقائية عكس التربية الهادفة (لعميمي، فلسفة التربية و التعلم: أوليفيه

روبول ، 2013). " حيث تختلفان عن بعضهما البعض في الأسلوب المتبع في العملية التعليمية و الغاية المراد تحقيقها . و على هذا الأساس يمكننا القول بأن التربية من فعل " ربى ، يربو، بمعنى زاد و نعى و هي كذلك مصدر الفعل ربى يربى أي نشأ ونعى (العمراني، 2014، صفحة 16)". و بهذا فهي تعني بالمعنى الواسع للكلمة التنشئة، النمو، الزيادة و التغيير من حال إلى آخر. "فأنشأ أو ربى ترجع أساسا إلى التربية العائلية و هي في الغالب تربية عفوية ، أما علم أو درس يمثل فعلا قصديا يقدم في مؤسسات أعدت لهذا الغرض .حيث البرامج و المناهج معلنة يشرف عليها مختصون (الحجلاوي، تونس،صفحة19)".

إن غاية التربية إذن؛ "تنشئة الإنسان إما بواسطة مدرسة المشاعر على حد تعبير (روبول) أي الأسرة،و إما بالتعلم، و ليس التعليم سوى ذلك الفرع من التعلم الذي يهدف إلى تثقيف الإنسان إذ ينشئ حكمه (روبول، فلسفة التربية،1982،صفحة39)". فعملية التعلم لا تنحصر في الجانب الأكاديمي فحسب بل تتعداها لتشمل تجارب الخاصة و الخبرات الشخصية.

"و من الخطأ أن نعتقد أن ذلك التعليم قادر على تنمية الطاقات الفكرية للفرد و إكسابه القدرة على التغيير إلى جانب تعليمه كيفية التعلم و ذلك لوجود تعارض بين (التعليم الكتي) و (التكوين الانساني) الذي يعلمنا كيف نحى (لعميمي، فلسفة التربية و التعلم:أوليفيه روبول ، 2013)". في قلب هذه التصورات يطرح إذن سؤال، ما التكوين؟

إن الإجابة على هذا السؤال تحيلنا إلى أن التكوين حسب وجهة نظر روبول يتمحور حول " مجموعة من الأهداف و الأنشطة و المهارات و الوسائل التي تتوجه نحو شخص ما لجعله قادرا على ممارسة شغل أو مهنة أو وظيفة أو مهمة (روبول، لغة التربية و تحليل الخطاب البيداغوجي، 2002،صفحة197)". هذا من جهة و من جهة أخرى فأن التكوين يلعب دورا هاما في إحداث التغييرات الإيجابية للمكون، حيث يحوي في مضمونه ترقية الفرد و تحسين قدراته المختلفة الغامضة مثلا : " التفكير ، الإبتكار، التحليل، الفهم من خلال التعلم و الخبرة .أما إذا أردنا الوقوف على مكنون هذا المفهوم نجدأن؛ "التكوين سواء كان تقنيا أو عسكريا أو مهنيا أو رياضيا . هو إعداد و تهيئة الفرد للحياة الإجتماعية .فهل أن ذلك لا يمثل شكلا من التعليم ؟ يظهر على عكس من ذلك .أي أنهما متقابلان و هذا التقابل أننا نعلم شيئا ما لشخص معين ، و أننا في المقابل نكون شخصا معينا لشيئ ما، و الفرق أننا في التعليم نعلم شيئا و في التكوين نهيء لغاية معينة" (الحجلاوي، تونس،صفحة20) يظهر لنا من خلال هذا التحليل أن، إذا كان التكوين هوالتدريب الموجه لتحقيق هدف محدد،فإن التعليم موضوعه المتعلم أو على الأقل يمكننا القول يتم تنميته لأجل ذاته. أما إذا تساءلنا عن التكوين عموما فإننا نجده يشير في مضمونه لعملية إعداد شيء ما، تشكيله

تنظيمه و تكوينه .في حين تغدو الغاية من التعليم ليس تلقي معارف أو معلومات وإنما حسب التصور الروبولي بناء كفايات . هذا ما يقودنا إلى طرح التساؤل الآتي:ما هي القراءة التي قدمها أوليفيه روبول لبيداغوجيا الكفاية ؟

4. بيداغوجيا الكفاية:

مما لا شك فيه أن بيداغوجيا الكفاية* تتضمن في متونها سمات أساسية متمثلة في تنمية التعلم الذاتي لدى المتعلمين كما أنها تحفز على البحث و التنقيب و على حل المشكلات بدل حفظها و تخزينها ، و كذا تقوم على التكوين بدل التعليم الذي قامت عليه نظرية الأهداف و عكس التلقين الذي قامت عليه مجمل النظريات التقليدية .

إن الكفاية إذا أردنا التدقيق و كما يرى "روبول" - فإنه يقصد شيئا آخر غير البيداغوجيات التقليدية تلك البيداغوجيات التي تهدف عموما إلى تثبيت ما يسمى بالمعلومات، و هكذا تتناقض بيداغوجيا الكفاية بشكل أولي مع فكرة أن يكون غاية التعليم هي الإستزادة بالمحتويات و المعارف في ذاتها بنوعها النظري أو العملي. و إنما بكل إقتضاب يهدف التعليم في نظره إلى تزويد المتعلم بالكفاية،* أو الكفايات و المقصود هنا، دفع التلميذ ليس فحسب إلى معرفة الشيء و إنما إقداره أساسا على المعرفة الذاتية. (الحجلاوي، تونس، ص56) حيث تتسم بيداغوجيا الكفاية برؤية متجددة لعملية التربية و التعليم ، باعتبارها تركز على تنمية المهارات و تربية الأجيال الناشئة على التفكير الإنتاجي و كذا النقدي، خلافا للبيداغوجيات التقليدية، و يمكننا فهم ذلك أكثر إذا ما نحن وقفنا عند حد الأصل أو المدلول اللغوي لعبارة كفاية؛ يمكننا الإشارة مع أوليفيه روبول إلى أن كلمة "كفاية" في اللغة الإنجليزية" لها أصل قانوني و معناها في هذا السياق ، الكفاءة المعترف بها شرعيا لسلطة عمومية في فعل أمر من الأمور، ضمن شروط محددة بدقة، و في هذا المعنى نتكلم عن كفاية محكمة في فصلها الحاكم برد المظالم عن فرد أو مجموعة في قضية ما. (الحجلاوي، تونس، صفحة57) و كل ذلك يحيلنا إلى أن الكفاءة القانونية هي المقياس الذي يحدد قدرة الجهة العامة على تنفيذ مهامها و اختصاصاتها ، و في هذا الإطار نتحدث عن فعالية المحكمة في إنصاف الأفراد من خلال إيجاد حلول للنزعات و تسويتها . أو بعبارة أخرى قد نتكلم عن كفاءة أو عدم كفاءة فيما يخص قضايا المحاكمة و اتخاذ القرارات" و مع نعوّم تشومسكي عالم اللغة الشهير أصبح هذا المصطلح

* فالكفاية كما يعرفها أوليفيه روبول: " فهي نسق من القواعد المبطنة في الذات المتعلمة و المكونة لمعارفها و التي هي قادرة بواسطتها على إنتاج و فهم ما لا حصر له من الإنجازات. " (روبول، لغة التربية تحليل الخطاب البيداغوجي، المصدر السابق ، ص 199).

مرتبط بمجال اللغويات حيث يمكن ربط نظرية التعليم بنظرية اللغة من خلال مفهوم الكفاءة". (reboul, 1980,p181) تعد هذه النظرية تحولاً بارزاً في دراسة اكتساب اللغة إذ تقدم رؤية مختلفة عن التصورات السالفة التي كانت تسند اللغة على قواعد و قوانين محددة لإكتسابها و دراستها، و على هذا الأساس يمكننا القول أن تفسيرات تشمسيكي بخصوص عملية اكتساب اللغة ، تعد محطة مؤثرة في تطوير البحوث في هذا الميدان و توسيع دائرة الفهم لعملية اكتساب اللغة و كذا الإستعانة بطرق أكثر فعالية و ملائمة لتحسين تطبيقها و تطويرها .

بهذا الشكل نجد تشمسيكي يستخدم مصطلح - الكفاءة اللغوية- ليعين أن المعرفة لا تقتصر على مجموعة من الأداءات أو القدرة على تكرار عدد معين من العبارات لتي تم سماعها بالفعل، إن معرفة اللغة تعني القدرة بناء على عدد محدود من القواعد على تشكيل، تكوين و كذا فهم عدد لانهائي من الجمل الجديدة المكونة بشكل صحيح و منظمة بطريقة سليمة ، و هو مايسمح لهذا المتكلم بأن يميز بين الجمل المهمة أو الفاسدة لغويا و بين الصحيحة لغويا، و هذا الضرب من الكفاية اللغوية هو مايكتسبه الطفل عندما يتعلم لغته (reboul, 1980,p183) .

أما إذا تساءلنا عن كيفية إكتساب الطفل للغة فإن جواب تشمسيكي واضح و يكمن في ماوراء التقليد أي فيما نسميه بالكفاية اللغوية و هي القدرة الخاصة التي نتملكها جميعا و تميزنا ككائنات لغوية، نستطيع من عدد محدود من القواعد على التصرف الذاتي و إبداع جمل عديدة (الحجلاوي، تونس، 59-60) لكن ما يجب الإشارة إليه في هذه النقطة ، أن الكلام هنا كلام على ان الإنسان يمتلك قدرة طبيعية على اكتساب اللغة و التواصل بها بشكل إبداعي ، و أن التعلم يعتمد على الإبداع اللغوي فلا ينحصر تعلم في مجموع القواعد... الخ ، فالإنسان له القدرة على توليد وتكوين جمل متناغمة حتى بالرغم من استخدامه لعدد قليل من القواعد الأساسية.

و اعتبارا لذلك، ما ينبغي أن نحفظ به من تشومسكي في هذا السياق في رأي -روبول- أن تعلم اللغة لا يقتصر على المعرفة التي نكتسبها من خلال الدروس و التعلم فحسب ، بل يتعلق أيضا بقدرتنا على التعلم و التطور الشخصي الذي يحدث بداخلنا مع مرور الوقت. من الجدير بالذكر أن القدرة على التعلم و النمو ليست شيئا ثابتا ، بل مهارة قابلة للتطوير و كذا التحسين بالتمارين و الممارسة (الحجلاوي، تونس، صفحة 60) .

لكن خارج فضاء الألسنية كيف تتجلى دلالة الكفاية لدى القاضي أو الخبير؟ أو مستخدم لغة أجنبية؟

لا شك إذن ؛ أن الكفاية تتأسس حسب روبول على نظام معين ، سواء كان ضمني أو صريح مما يعني ذلك أن مهارتنا في حفظ و ترديد الجمل في اللغة الجديدة قد تكون صحيحة أو خاطئة .و هذا ما يعرف بمفهوم الإتقان ، أما الكفاية فهي كفاءة في تقييم تلك الجمل اللغوية و الحكم إما بسلامتها أو بطلانها بالنظر إلى قواعد تلك اللغة (الحجلاوي، تونس، صفحة 60-61).

و على النحو نفسه الذي يحدث به الأمر مع اللغوي فهو كذلك مع القاضي حيث يعتمد هذا الأخير إلى إصدار الأحكام في القضايا ، التي تعرض أمامه بناء على معرفته الذاتية و فهمه للقوانين و الضوابط القانونية، و معنى ذلك أن كفاية القاضي توجد في اجتهاده للتوفيق بين الحالات الخاصة للمهتمين و بين النصوص الصورية للقوانين، فكلما تمكن القاضي من التوثيق بشكل دقيق بين الحالات الخاصة و النصوص القانونية المعمول بها كلما ابتعدت القرارات القضائية عن التوثيق الدقيق و المنطقي كلما انخفضت كفايته (الحجلاوي، تونس، صفحة 61). و اللافت للنظر أن هذا الطرح يتحدث عن أهمية و دور القاضي في تحقيق العدالة و ضرورة توثيق الحقائق بدقة و شفافية و تحليلها بناء على قوانين المطبقة ، لتفادي إصدار قرارات قضائية غير دقيقة و عادلة .

و في نفس السياق نجد أيضا أن ، الأحكام التي يطلقها خبير ما تنصهر في نفس المعنى حيث تتجلى كفايته في مدى توفقه في إصدار الأحكام تتلائم و تتناسب مع الإطار العام و الأسس الأساسية المعترف في تلك المجالات. أي النظام الرمزي المتعارف عليه (الحجلاوي، تونس، صفحة 61).

ما يمكن ملاحظته في الحالات الثلاث أن الرموز تختلف من مجتمع إلى آخر و من حقبة زمنية إلى أخرى. و في الواقع إن الكفاءة ترتبط بالمجال الفعلي ، فحسب روبول فإن الأمر يقتضي في اللغة ب "إيجاد التعبير الصحيح" و في "القضاء اتخاذ الحكم الصحيح" و في التحكميم "تقدير الأمور بصورة صحيحة". (reboul, 1980,p184) و على هذا الأساس فالكفاءة تتطلب الخبرة و المعرفة العميقة بالمجال الفعلي ، و القدرة على التعامل مع المهام المطلوبة بدقة و فعالية.

و من هذه التحليلات التي قدمناها يمكننا الوقوف على الكفاية اللغوية التي تحوي في مضمونها القدرة على إنشاء عدد غير محدد من الجمل و التراكيب الصحيحة و المتنوعة، التي تأتي بشكل غير متوقع و التحرر من العبارات و القوالب الجاهزة و التكرارات (reboul, 1980,p185) . لكن السؤال الذي يبقى مطروحا ؛ لماذا يختلف كاتبان في قول نفس الموضوع ؟ لماذا نختار أساليب متباينة رغم وحدة الموضوع؟

فإذا دخلنا حقل الكفاية من هذه الزاوية تسنى لنا القول أن الكفاية القانونية تتمثل في إتقان القاضي المستمر للملائمة بين عمومية القواعد القانونية و صوريته، و بين خصوصية الجرائم التي تعرض أمامه و

هذه الكفاية هي التي تجبينا في الواقع على الأسئلة التالية : لماذا يختلف قاضيان في أحكامهما في نفس القضية ؟ لماذا تختلف الأحكام القضائية رغم رغم كونها تنضوي جميعا تحت نفس المنظومة القانونية . و على هذا الأسلس لا يمكننا أن نقول بأن حكم هذا القاضي أو ذاك أصح (الحجلاوي، تونس، صفحة63) . و ذلك يعود أساسا إلى إختلاف الخلفيات الثقافية ، القيم و المعرفة المكتسبة و كذا التجارب الفردية ، التي تؤثر على نظرتهم للأمور و كذا تؤدي إلى تباين في الرؤى و الأحكام، هذا من ناحية و من ناحية أخرى ينبه روبول أن الإبداعات اللغوية أو القانونية التي تترتب عن الكفاية ينبغي أن تنسجم ضرورة مع الوضعيات المستحدثة. (الحجلاوي، تونس، صفحة64)

و لا يغيب على بالنّا أن تطوير اللغة يلعب دورا حاسما في تبادل المعارف و التواصل الفعال ، بينما يسهم تطوير القوانين في تحقيق العدالة الإجتماعية.

و بناء على ذلك حاول روبول أن يجمال هذه المعاني في كتابه ما التعلّم ؟ بقوله أن الكفاية " هي إمكانية الإنتاج – في إحترام القواعد عدد غير محدد من الأداءات التي لا يمكن التنبؤ بها، إلا لأنها منسجمة فيما بينها و متلائمة مع الوضعية ليست هي التصرف وفق نموذج مفروض، و إنما تكييف السلوك مع الوضعية و مواجهة الصعوبات غير المتوقعة و انتقاء المعارف و أخذ ما ينفع في حل المشكلات ، و أخيرا القدرة على الإرتجال في الوقت الذي لا يقوم فيه الآخرون سوى بالتركرار، فأن تتصرف بشكل جيد معناها أن تتصرف بذكاء ، ليس إعادة إنتاج سلوكات مكتسبة و إنما القدرة على تكييفها في حالات جديدة (بكر، كيف ينبغي أن يكون التعليم: أوليفيه روبول، 2014). و تماشيا مع هذا الطرح يمكننا القول أن الكفاية بالمعنى الواسع للكلمة ؛ معناها القدرة على تجاوز العقبات و العوائق التقليدية و ابتكار مستويات عالية من الأداء ضمن معايير محددة .

و على هذا الأساس نجد روبول يقوم بتمييز دقيق بين المعرفة العملية و المعرفة النظرية كونهما تؤثران على القدرة على الإستنتاج السليم . فالمعرفة العملية تشير إلى القدرة على الفعل و التطبيق العملي بينما المعرفة النظرية، تشير إلى القدرة على الفهم و الإستيعاب النظري و بين الكفاية من ناحية أخرى باعتبارها تساوي القدرة على الحكم و كذا اتخاذ قرارات صائبة ، ملائمة و مناسبة تعتمد على المعرفة العملية و النظرية . لكنها تتجاوزهما في نفس الوقت الذي تستخدمهما فيه باعتبارها تختار ما يتناسب مع مطلبها (الحجلاوي، تونس، صفحة64).

بناء على التصورات و التحليلات السابقة يظهر لنا أن الكفاية تساوي في دلالتها معنى الذكاء . فعلى الرغم من أن الكفاية و الذكاء قد تختلفان في بعض النقاط إلا أنهما يشتركان في القدرة على التصرف و التكيف

في الوضعيات المستحدثة ليس هذا فحسب بل يمكن إعتبارهما مفهومين متقاربين في بعض السمات المشتركة البارزة (الحجلاوي، تونس، صفحة 65). مثل القدرة على التحليل و التفكير النقدي، و القدرة على تطوير المهارات و التعلم المستمر. و فقا لهذا الطرح فإن السؤال الذي يعتمد أن يثار هو ما الهدف الذي نسعى إليه من وراء الكفاية؟

فما يقوله روبول من خلال توضيحه للفكرة الأساسية للكفاية ؛ أنها من التعليم بل هي غايته. بل هدف كل تعليم يستحق بلاشك هذا اللقب، فلن يقبل أي مدرس مثلاً يريد أن يجعل غاية درسه أن يتمكن تلاميذه فقط من حفظ مجموعة من العبارات الجاهزة و يراكمونها دون القدرة على تكوين و إبداع تراكيب جديدة ذاتية ، و لن يقبل أي مدرس مادة العلوم يرغب أن تكون غاية درسه هي يقدم تلاميذه كما هائلا من المعادلات دون أن تكون لهم القدرة على استخراج و استخلاص بعض المحتويات الجديدة أو حتى تطبيقها على وضعيات مستحدثة (reboul, 1980,p65).

إن غاية التعليم إذن إقدار التلاميذ أساسا على المعرفة الذاتية لتمكينهم من تطوير إمكاناتهم الكامنة؛ بما في ذلك قدراتهم ، مهاراتهم، اهتماماتهم و كذا قيمهم لتعزيز التنمية الذاتية و سيكون الفهم أكثر دقة إذا ما نحن وقفنا عند حد بعض طرق التدريس الشائعة، من بينها التعليم بالأهداف الذي أدلى بها أوليفيه روبول في مؤلفه ما التعلم؟ حيث أشار فيه بأن بيداغوجيا الكفاية مختلفة تماما مع ما يعرف ببيداغوجيا الأهداف ، لكن ما يجب التساؤل عنه في هذه النقطة ، أين تكمن هذه الاختلافات ؟ و ماهو رهانات هذه المواجهة الجيدالية التي يعقدها روبول بينهما؟

5. التعليم بالأهداف:

تتنزل بيداغوجيا الاهداف* أولا كمعارض أساسي و بديل حقيقي للبيداغوجيات التقليدية و قوالها و قواعدها الذهبية و ثوابتها. فهي تشجع المعلمين إلى أن تكون أهدافهم فضلا عن الوضوح التام محددة في أذهانهم قبل إنطلاق الدرس (الحجلاوي، تونس، صفحة 66).

إذ: "أنها تؤكد على ضرورة العناية بصياغة الأهداف العامة و الخاصة عند إعداد أي برنامج مادة و أي محور و أي درس و كلها أهداف و غايات تصب في خدمة المجتمع أو الدولة على المدى القريب أو المتوسط أو البعيد ، على سبيل الميثال ، إذا كان الهدف العام هو التدريب على كتابة مقالة حول نص فلسفي ، فإن

* البيداغوجيا بواسطة الأهداف : " هي تصور تربوي يستمد أصوله من السلوكية، و يهتم بالعقلنة و الأجرأة و الفعالية و المردودية من أجل إنتاج تعليم فعال و هادف". (أوليفيه روبول، لغة التربية و تحليل الخطاب البيداغوجي، المصدر السابق ص 87).

الهدف الخاص يمكن أن يكون مثلا، القدرة على إبراز المشكل المطروح في النص أو القدرة على إبراز موقف صاحب النص." (القادر، 2019، صفحة4).

أما "الهدف الإجرائي فهو نفسه الهدف الخاص مصاغا بطريقة عملية تصف الأداء المتوقع قيام التلميذ به و هو أداء قابل للملاحظة و القياس ،يصف المحصول أو الناتج التعليمي بدقة و وضوح فهو من جهة معيار يختبر به المعلم مدى نجاحه في التدريس ، و يسمح له بالسعي للرفع من مستوآدائه التربوي ، و هو من جهة أخرى يجعل المتعلم ساعيا بوعي و إرادة لطلب المعرفة و مقبلا على التكوين لأن الهدف المراد بلوغة محدد و واضح." (القادر، 2019، صفحة6).

و على هذا الأساس، فإن لهذه البيداغوجيا فضائل لا يمكن إنكارها ، فهي تركز على التلميذ ذاته حيث تلزم المعلمين على الدقة و تجنب الإستخدام العشوائي للمصطلحات في الدروس ، كما أنها تسمح بالتقييم التكويني الشامل في كافة المستويات التعليمية ، و أخيرا فإنها تقدم نفسها كعقد بين طرفين ، المعلم و المتعلم فإذا أخفق هذا الأخير كان على علم بالسبب الفعلي (الحجلاوي، تونس، صفحة68).

و من هنا يمكن القول أن التمهيص الدقيق للأهداف التعليمية يشكل عنصرا أساسيا لإنشاء محتوى تعليمي فعال و مثمر. غير أن السؤال الأكثر إلحاحا ، و الذي يستوقفنا في هذا المستوى ، هل يمكن الإعتماد فعلا على هكذا بيداغوجيا لتعليم الكفاية؟

بحسب رأي (روبول) تصلح بيداغوجيا الأهداف أفضل من البدائل الأخرى في الحصص القصيرة و حصص التدريب المستمر و بعض مستويات التدارك ، و لكن نشك كثيرا في ما تدعيه من أنها تستطيع تغطي مجال الإتقان إلى مستوى الكفاية (الحجلاوي، تونس، صفحة70). تحليلنا هذه الصيغة لفكرة مفادها أن بيداغوجيا الأهداف تكون ناجعة عندما يتم وضع غايات قصيرة المدى ، و تصبح أقل فعالية عندما تحتاج إلى تحقيق كفاءات طويلة المدى التي تستلزم التدريب المتواصل.

الآن يمكننا النظر من الجديد في الكفاية كغاية مطلقة لكل تعليم، إلا أن اقرار هذه الفكرة لا يعني أنها لا تطرح أية صعوبات بل بالعكس، فهي تطرح التحديات التالية:

وفقا لهذا الطرح يمكننا القول ،إذا كانت الكفاءة هي الهدف من كل تعليم للمتعليم فعلىنا أن ندرك أن هذا الهدف يواجه العديد من التحديات :

لكن ما لا يجب إغفاله وفق هذا المنظور ؛ لا يوجد كفاية شاملة للتعليم بوجه عام، حيث تنحصر الكفاية دائما في ميادين معينة و ترتبط بمسائل خاصة في التعليم مثل ، الكفاية اللغوية أو القانونية أو الرياضية أو الجمالية و ما إلى ذلك، و لا يمكن ضمان قابلية نقل الكفاءة من نطاق إلى آخر ، و لكنها يمكن أن تكون

فعالة للمتعلم و مكسبا له في حل جميع الأبواب و التحديات التي قد تواجهه في مسيرته العملية و التعليمية (reboul, 1980,p194). كذلك فكرة أخرى نستنبطها من هذه الصيغة المطروحة مفادها أن الكفاءة في التعليم تختلف على حسب المراحل الدراسية . فلا يمكننا ضبط مستوى الكفاية بصورة عامة بمعزل عن التخصصات و المواضيع في كل مستوى تعليمي.

إذا بالنظر لمفهوم الكفاية كونها مجموعة من الإتقان اللامتوقع ، فإنها ليست بديلا للخلق و الإبداع فكلما كانت الكفاية قوية ، زاد احتمالية تطبيق القوانين القائمة بدقة و إحترافية، و لكنها لا تعني بالضرورة الإبداع و الإنتاج . فالكفاية النقد الفني أو الحكم على العمل الفني ، تختلف عن كفاية الفنان ، فالفنان قد يتجاوزها من خلال إبداعه أشكال فنية جديدة ، في حين الناقد الفني قد يفتقر إليها في قدرته على التقدير الدقيق للقيمة الفنية (الحجلاوي، تونس،صفحة71) فقراءتنا لهذه الصيغة توضح لنا أكثر أننا من الصعب بلوغ أعلى درجة من الكفاية و الإتقان في العمل دون نضج الخبرة العملية و التدريب بشكل دائم .

أما في مجال الرياضة لا نتحدث عن كفاية الرياضي فحسب بل عن كفاية التدريب للمدرب و التحكيم للحكم. و بالمثل فان الكفاية اللغوية لا تصنع من الانسان كاتباً أو شاعراً متميزاً. و على هذا الأساس يمكننا القول إذا كان هدف التعليم تكوين كفايات فلاشيء يضمن أن تكون تلك الكفاءات مبدعة (reboul, 1980,p194) .

و الحقيقية أن مسألة التعليم حتى تكون ناجحة و ناجعة ينبغي أن تكون موجها لتعليم المهارات و تطوير التفكير الإبداعي .

فالنظام القاعدي الذي يحكم ممارسة الكفاءة ليس عالميا، و القوانين اللغوية و القانونية تعتمد على ثقافة محددة . و يجب على التعليم التعامل مع التفاوتات الثقافية و النظر إليها كجزء من العملية التعليمية الشاملة، و يمكن القول أن التقدير التربوي ليس مقيدا إذ يسمح بانتقال المعرفة مثلا: من تعلم لغة أجنبية سيكون أكثر قدرة على تعلم لغة أخرى. فالثقافة التقليدية قد فرضت قيودا على الكثرين ولكنها أيضا سمحت الأشخاص بفهم ثقافات أخرى، و لكن لا يمكن للكفاءة أن تكون مجرد نتيجة بحثية سواء فيما تعلق بالقاضي الشرعي أو المسؤول الحكومي، و من الأهمية بمكان أن تكون الكفاءة غير متخصصة لدرجة تكبل الروح النقدية (reboul, 1980,p194) .

تتداخل أهمية التعلم في مختلف المجالات الحياتية، باعتباره يلعب دورا حاسما في تعزيز التفاهم الثقافي و التعلم الشامل الذي يراعي كافة العوامل المؤثرة على تحقيق الكفاءة الفردية .

الكفاءة صعبة التقييم ، هل يمكننا تقييم القدرة على الحكم؟ و في هذا المجال لا تتوفر سوى مقاييس سلبية مثلا: عدم إحترام القانون ،أو عدم التناسق أو عدم التكيف في الأداء، و لكن الجوانب الإيجابية للكفاءة مثل الإبداع ، حل المشكلات، تظل تحديا في التقييم. بشكل عام يجب أن يكون هناك مزيج من المعايير الواضحة و المرنة في التقييم. لأن الكفاءة ليست مسألة فنية أو مهارية فحسب بل تتعلق بالقدرات النقدية و التوجيهية و الإبداعية للفرد، فإذا كان هدفنا تنمية الكفاءة علينا توفير بيئة تعليمية تدعم التفكير النقدي، الإبداعي... إلى جانب تعيين المسار الملائم ووضع استراتيجية لتحقيقها بأفضل الطرق الممكنة (الحجلاوي، تونس، صفحة194). فالكفاية ليست شيئا ثابتا جامدا بل بإمكاننا تحسينها عن طريق التعلم و التدريب المتواصل.

و بشكل خاص ما يبقى محط جدال هنا كيف يمكننا أن نتعلم الكفاية؟ إذ، بإمكاننا معرفة قوانين نظام محدد و التوضيحات التي وضعت له في فقه القانوني أو اللغوي و لكن هل يمكننا أن نحول الحق إلى إنصاف بإستطاعتنا أن نتعلم النحو، لكن ماذا عن الأسلوب الخاص في الكتابة؟و يمكن بالمثل أن نتعلم البيداغوجيا ، لكن ماذا أن نكون بيداغوجيين ؟

و النتيجة أنه في جميع الميادين يتمكن البعض من تعلم الكفاية في حين يفشل البعض الآخر ، و هو ما يبرر لنا لماذا نقول عن الصنف الأول أنه موهوب و على الثاني أنه عادي" (الحجلاوي، تونس، صفحة73). فلنتوقف قليلا عند معنى الموهبة : " ليست معارف فطرية تقوم مقام العلم و لكنها ما يساعدنا على التعلم فحسب ، و الإستفادة أكثر ما يكون من التعليم . ثم إن الموهبة ليست شاملة أي تتعلق بجميع الميادين . فكما رأى هلفيتيس ، فالموهوب هو موهوب في قطاع معين و تخصص معين و هو الأمر الذي يسمح لنا بالإعتقاد، بأن الآخرين يمكن أن يكونوا هم أيضا متفوقين في ميادينهم المختلفة" (الحجلاوي، تونس، صفحة74).

و من أسطر هذا التعريف يمكننا أن نفهم بأن الموهبة ليست بالضرورة مؤشرا للنجاح في مختلف الميادين، فالتفوق يتطلب الجهد، العمل، التدريب و تطوير المهارات اللازمة، لتحقيق الأهداف المرسومة فالموهبة هي عامل داعم و ليست العامل الرئيسي في النجاح. إذ يتمتع الموهوبون دون و لا شك بالقدرة على التفوق في بعض التخصصات، لكن ذلك لا يعني بالضرورة تحقيق النجاح في كل المجالات.

بشكل عام، يمكننا القول أن هناك "حدود واضحة لفكرة الكفاية في داخل التعليم، و هو ما يؤيده روبرول بالقول : أن ما يصلح لتكوين كفاية في جميع المجالات هو بالذات ما لا يصلح أن يكون أداة تعليمية". (الحجلاوي، تونس، صفحة74-75)

إذن ؛ يجب علينا التذكير بأن التعلم الدائم و التطوير المستمر هو المفتاح لتعزيز الكفاءة في أي مجال .

6. مستويات الكفاية عند أوليفيه روبول:

" الكفاية الأساسية: و هي التي يجب على كل طفل إكتسابها ليصبح إنسانا كاملا ، و دونها قد يكون مجرد جزء من آلة إقتصادية عمياء .

الكفاية الخاصة: و هي التي نكتسبها في مجالات محددة مثل مجال التخصص المهني أو حتى في النشاطات الإجتماعية أو في مجالات الهواية . (reboul, 1980,p197)

"الكفاية في الوجود: تلك التي تتيح للفرد بأن يكون ناضجا حقيقة و إنسانا كاملا و قادرا في جميع الميادين التي تخصه أن يحكم بنفسه و بكفاية عالية". (الحجلاوي، تونس، صفحة78).

فإنه و بناء على النحو يمكننا القول مستويا الكفاية تمكننا من ضبط مستوى المؤهلات و القدرات التي يمتلكها كل فرد و التي ينبغي أن يتقنها لتحقيق النجاح في المجال الذي نصبو إليه.

بناء على هذا نقول ، "إن العملية التعليمية يمكن أن تساهم في اكتساب هذا النوع من الكفايات ، لكنها لا تخلق كفايات التواجد لماذا؟ لأن كل المعارف و المهارات التي يسمح التعليم بكتسابها هي وسائل لتعلم كيف نتواجد مع الغير، فإن الإستراتيجية العامة لعملية اكتساب المعرفة للمتعلمين، تتمثل في تدريبهم على حل المشكلات . حيث أن الهدف من الكفاية جعل العملية التعليمية أكثر انسجاما مع تطلعات المتدربين، و هذه النتيجة لن تتحقق بالتلقين أو بالتدريس الروتيني . و إنما بالثقيف و التكوين الجيد الذي يمكن من صنع تلامذه أو أفراد قادرين على مساءلة ذواتهم و العالم بطريقة متفلسفة " (البعاد المعجمي لمفهوم التربية).

و بذلك تكون الغاية الرئيسية من تنمية الكفايات تحقيق التناغم بين العملية التعليمية و احتياجات المتعلمين .

ما يمكن استنتاجه من كل هذا ، أن هدف التربية ليست شيئا آخر غير ذاتها . فالغاية التي نجعلها الآن للتربية أو للتعليم ينبغي أن نسمح بأن نواصل مشروع الإنسان الذي ينبغي أن نبنيه طوال حياتنا . أن نتعلم كيف نظل نربي أنفسنا في مشروعنا الذي لا ينتهي إلا بنهايتنا نحن . " (الحجلاوي، تونس، صفحة78) و ما نود الإلتفاتة إليه في هذا السياق : أهمية التربية و التعليم في تطوير الإنسان و بناء شخصيته بطريقة

إيجابية ، فالتربية لا تقتصر على اكتساب المعرفة و المهارة بل تمتد لتشمل تنمية الذات و تحسين المستوى الثقافي ، لتحقيق أهدافنا و رؤيتنا بطريقة فعالة و مستدامة.

7. خاتمة :

و في الختام لا بد من التذكير بما أوليناه عناية خاصة في هذه الورقة البحثية و هي القول بوجوب النظر في سؤال التعلم و مدى أهميته في تغذية العقول ، إذ يمثل جوهرًا أساسيًا للفهم و التطوير في شتى المجالات ، كيف لا و هو الذي يمكن من خلاله إحداث التغييرات الإيجابية في سلوكيات الأفراد، باعتباره أحد المفاتيح الضرورية لتوسيع آفاقنا و الرفع من قدراتنا الفكرية و الإبداعية، فنجاح و رقي المجتمعات يتوقف على نتائج التعليم .

و على ذلك ، قدم أوليفيه ربول تحليلًا شاملاً و معمقاً بشأن فهمنا لعملية التعلم لمعرفة ما يحمله في ثناياه من تساؤلات، تحوي في متونها المفاهيم و الأسئلة المحورية للتعلم : هل التعلم يعني نقل المعلومات فقط أم التحفيز على البحث و التفكير لاكتشاف معارف جديدة و توسيع مداركهم؟ ما هي المعارف و المهارات التي يتوجب تعليمها؟ ما المرامي المرجوة من التعلم؟ و عديد الأسئلة المتعلقة بالتعلم و غيرها، باعتباره جوهر الإنسان .

إن نظرة أوليفيه ربول للتعلم تعكس رفضه للبيداغوجيات التقليدية ، تلك البيداغوجيات التي تهدف إلى تجميع و تثبيت ما يسمى عموماً بالمعلومات في الذهن، هذا الرفض يكشف عن تميز فكره من خلال إتباعه مفهوم التغيير و التجديد و الاستمرارية .

و الحقيقة أن مسألة التعلم حتى تكون ناجحة و ناجعة لا بد أن يكون هناك تنوع و اختلاف في الطرائق و الإستراتيجيات التعليمية، فهذه الدراسة عموماً أثارت العديد من الأسئلة كلها تتعلق حول مؤشرات إيجاد حلول لمجمل انشغالاتنا المتعلقة بعملية التعلم ، أهدافه، غاياته و مشكلاته القائمة. في العصر الراهن، يعتبر التعلم أمراً حيويًا و لا غنى عنه في ظل التحديات و الاضطرابات العديدة التي تواجه المجتمعات المعاصرة.

5. قائمة المراجع:

- Al-Zubair Belmamoun. (2018). Introduction to Educational Sciences. Algeria: Dar Al-Khaldounia.
- Olivier Rouboul. (1982). Philosophy of Education (Version 2). (Jihad Naaman, Translators) Paris: Awidat.
- Olivier Ropoul. (2002). Language of education and analysis of pedagogical discourse. Morocco, Morocco: East Africa.

- Olivier Ropoul. (2002). The language of education and the analysis of pedagogical discourse. (Omar Okan, translators) Morocco: East Africa.
- Sonia Hanem Qazamel. (2013). The Modern Dictionary of Education (1st Edition). Cairo: Alam Al-Kutub.
- Abdul Ghani Ismail Al-Amrani. (2014). Fundamentals of Education (Issue 2). Yemeni: University Book House – Sanaa.
-

الزوير بلمامون. (2018). مدخل إلى علوم التربية. الجزائر: دار الخلدونية.

أوليفيه روبول. (1982). فلسفة التربية (الإصدار 2). (جهاد نعمان، المترجمون) باريس: عوידات.

أوليفيه روبول. (2002). لغة التربية و تحليل الخطاب البيداغوجي. المغرب، أفريقيا الشرق.

أوليفيه روبول. (2002). لغة التربية و تحليل الخطاب البيداغوجي. (عمر أوكان، المترجمون) المغرب:

أفريقيا الشرق.

سونيا هانم قزامل. (2013). المعجم العصري في التربية (الإصدار 1). القاهرة: عالم الكتب.

عبد الغني إسماعيل العمراني. (2014). أصول التربية (الإصدار 2). اليمنية: دار الكتاب الجامعي-صتعاء.

عمر أوكان. (2002). لغة التربية و تحليل الخطاب البيداغوجي. المغرب، أفريقيا الشرق.

لطفى الحجلأوي. (تونس). فلسفة التربية الإشكاليات الراهنة. 2009: دار التنوير.

Reboul, o. (1980). *ou est -ce qu apprendre-pour une philosophie de l enseignement* (éd. 1).

paris: presses universitaires de france.

المقالات:

عدالة عبد القادر. (2019). التعليمية الجديدة و تدريس الفلسفة بالجزائر. مجلة الناصرية للدراسات

الاجتماعية و التاريخية ، 10 (1)، الصفحات 27-01.

مواقع الأنترنت:

البعد المعجمي لمفهوم التربية. (بلا تاريخ). تم الاسترداد من <https://maraje3.com>

- عبد القادر لعميمي. (2013, 10 26). فلسفة التربية و التعلم: أوليفيه روبول . تاريخ الاسترداد 07 04, 2023، من مركز الدراسات و الأبحاث العلمانية في العالم العربي:
<https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=384051>
- فريد أبي بكر. (2014, 08 23). كيف ينبغي أن يكون التعليم: أوليفيه روبول. تاريخ الاسترداد 07 24, 2023، من دنيا الوطن: <https://www.anafase.org>